القوام جمال كل صفة على حدتها ورب جميل الصفات على انفراد كل صفة منها بارد الطلعة غير مليح ولا حسن ولا رائع ولا حلو

الروعة بهاء الاعضاء الظاهرة مع جمال فيها وهي أيضاً الفراهة والعتق

الحسن هو شيء ليس له في اللغة اسم يعبّر به عنه ولكنه محسوس في النفوس باتفاق كل من رآه وهو بُرْدٌ مكسوّ على الوجه وإشراقٌ يستميل القلوب نحوه فتجتمع الآراء على استحسانه وان لم تكن هناك صفات جميلة فكل من رآه راقه واستحسنه وقبله حتى اذا تأملت الصفات افراداً لم تر طائلا وكأنه شيء في نفس المرئي يجده نفس الرائي وهذا أجلّ مراتب الصباحة . ثم تختلف الاهواء بعد هذا فمن مفضّل للروعة ومن مفضل للحلاوة وما وجدنا أحداً قط يفضّل القوام المنفرد

الملاحة اجتماع شيء فشيء مما ذكرنا

﴿ فصل فيما يتعامل الناس به وفي الاخلاق ﴾

التلوّن المذموم هو التنقّل من زيّ متكلف لامعنى

له الى زي آخر مثله فى التكلف وفى أنه لامعنى له ومن حال لامعنى لها الى حال لامعنى لها بلا سبب يوجب ذلك . وأما من استعمل من الزّي ماأمكنه مما به اليه حاجة وترك التزيّد مما لايحتاج اليه فهذا عين من عيون العقل والحكمة كبير وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القدوة في كل خير والذي أثنى الله تعالى على خلقه والذي جمع الله تعالى فيه أشتات الفضائل بتمامها وأبعده عن كل نقص يعود المريض مع أصحابه راجلاً فى أقصى المدينة بلاخُفٍّ ولانعل ولاقَلَنْسُوَة ولاعمامة ويلبس الشَّعر اذا حضره وقد يلبس الوشي من الحبَرات اذا حضره ولايتكلف مالايحتاج اليه ولا يترك مايحتاج اليه ويستغني بما وجد عما لايجد ومرةً يمشي راجلا حافياً ومرة يلبس الخف ويركب البغلة الرائعة الشهباء ومرة يركب الفرس عُرْياً ومرة يركب الناقة ومرة يركب حماراً ويُردف عليه بعض أصحابه ومرة يأكل التمر دون خبز والخبز يابساً ومرة يأكل العَناق[1] المشوية والبطيخ بالرُّطب والحلواء يأخذ القوت ويبذل الفضل ويترك مالايحتاج اليه

(١) العناق كسحاب الانثى من أولاد المعز

ولا يتكلف فوق مقدار الحاجة ولا يغضب لنفسه ولا يدع الغضب لربه عز وجل

الثبات الذي هو صحة العقد والثبات الذي هو اللَّجاج مشتبهان اشتباهاً لا يفرق بينهما الا عارف بكيفية الاخلاق والفرق بينهما ان اللجاج هو ما كان على الباطل أو ما فعله الفاعل نصراً لما نَشِب [1] فيه وقد لاح له فساده أو لم يلُح له صوابه ولا فساده وهذا مذموم وضده الانصاف. وأما الثبات الذي هو صحة العقد فانما يكون على الحق أو على ما اعتقده المرء حقاً ما لم يلح له باطله وهذا محمود وضده الاضطراب. وإنما يلام بعض هذين لانه ضيّع تدبر ما ثبت عليه وترك البحث عما التزم أحقّ هو أم باطل

حد العقل استعمال الطاعات والفضائل وهذا الحد ينطوي فيه اجتناب المعاصي والرذائل وقد نصّ الله تعالى في غير موضع من كتابه على أن من عصاه لا يعقل قال الله تعالى حاكياً عن قوم «وقالوا لو كنّا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» ثم قال تعالى مصدّقا لهم «فاعترفوا

(١) أي دخل وتعلّق

بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير»

وحد الحمق استعمال المعاصي والرذائل . وأما التعدي وقذف الحجارة والتخليط في القول فانما هو جنون ومِرَار[1] هائج . وأما الحمق فهو ضد العقل وهما ما بينا آنفاً ولا واسطة بين العقل والحمق الا السخف . وحد السخف هو العمل والقول بما لا يحتاج اليه فى دين ولا دنيا ولا حميد خلق مما ليس معصية ولا طاعة ولا عوناً عليها ولا فضيلة ولا رذيلة . وذية ولكنه من هذر القول وفضول العمل فعلى قدر الاستكثار من هذين الأمرين أو التقلل منهما يستحق المرء اسم السخف وقد يسخف المرء في قصة ويعقل فى أخرى ويحمق فى ثالثة . وضد الجنون تمييز الاشياء ووجود القوة على التصرف في المعارف والصناعات وهذا الذي يسميه الاوائل النطق ولا واسطة بينهما . وأما إحكام أمر الدنيا والتودد الى الناس بما وافقهم وصلحت عليه حال المتودد من باطل أو غيره أو عيب أو ماعداه والتحيل فى إنماء المال وبُعد الصوت وتسبيب الجاه بكل ما أمكن من معصية ورذيلة فليس عقلا . ولقد كان الذين

(١) جمع مِرَّة وهي خلط من أخلاط البدن اه من المصباح المنير

صدقهم الله في أنهم لا يعقلون وأخبرنا بأنهم لا يعقلون سائسين لدنياهم مثمرين لأموالهم مدارين لملوكهم حافظين لرياستهم لكن هذا الخلق يسمى الدهاء وضده العقل والسلامة واما إذا كان السعي فيما ذكرنا بما فيه تصاون وأنفة فهو يسمى الحزم وضده المنافي له التضييع . وأما الوقار ووضع الكلام موضعه والتوسط في تدبير المعيشة ومسايرة الناس بالمسالمة فهذه الاخلاق تسمى الرزانة وهي ضد السخف

الوفاء مركّب من العدل والجود والنجدة لان الوفيّ رأى من الجور ان لا يقارض من وثق به أو من أحسن اليه فعدل في ذلك ورأى ان يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ورأى ان يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء فشجع في ذلك

أصول الفضائل كلها أربعة عنها تتركب كل فضيلة وهي العدل والفهم والنجدة والجود

أصول الرذائل كلها أربعة عنها تتركب كل رذيلة وهي اضداد الذي ذكرنا وهي : الجور والجهل والجبن والشح

الامانة والعفة نوعان من أنواع العدل والجود

obeikandi.com

النزاهة فى النفس فضيلة تركبت من النجدة والجود وكذلك الصبر

الحلم نوع مفرد من أنواع النجدة

القناعة فضيلة مركبة من الجود والعدل . الحرص متولد عن الطمع والطمع متولّد عن الحسد والحسد متولد عن الرغبة والرغبة متولدة عن الجور والشح والجهل

ويتولد من الحرص رذائل عظيمة منها الذل والسرقة والغصب والزنا والقتل والعشق والهم بالفقر . والمسئلة لما بأيدي الناس تتولد فيما بين الحرص والطمع وانما فرقنا بين الحرص والطمع لان الحرص هو إظهار ما استكن فى النفس من الطمع . والمداراة فضيلة متركبة من الحلم والصبر

الصدق مركب من العدل والنجدة . من جاء اليك بباطل رجع من عندك بحق وذلك أن من نقل اليك كذبا عن انسان حرّك طبعك فأجبته فرجع عنك بحق فتحفظ من هذا ولا تجب إلا عن كلام صح عندك عن قائله

لا شيء أقبح من الكذب وما ظنك بعيب يكون الكفر نوعا من أنواعه فكل كفر كذب فالكذب جنس والكفر

نوع تحته . والكذب متولد من الجور والجبن والجهل لأن الجبن يولّد مهانة النفس والكذاب مهين النفس بعيد عن عزتها المحمودة

رأيت الناس فى كلامهم الذي هو فصلٌ بينهم وبين الحمير والكلاب والحشرات ينقسمون أقساما ثلاثة (أحدها) من لا يبالي فيما أنفق كلامه فيتكلم بكل ما سبق الى لسانه غير محقق نصر حق ولا إنكار باطل وهذا هو الاغلب فى الناس (والثاني) أن يتكلم ناصراً لما وقع فى نفسه انه حق ودافعاً لما توهم انه باطل غير محقق لطلب الحقيقة لكن لجاجاً فيما التزم وهذا كثير وهو دون الاول (والثالث) واضع الكلام فى موضعه وهذا أعزّ من الكبريت الاحمر

لقد طال همّ من غاظه الحق

اثنان عظمت راحتهما أحدهما في غاية المدح والآخر في غاية الذمّ وهما مطرّح الدنيا ومطرح الحياء

لو لم يكن من التزهيد في الدنيا الا أن كل انسان في العالم فانه كل ليلة اذا نام نسي كل ما يشفق عليه فى يقظته وكل ما يشفق منه وكل مايشره اليه فتجده في تلك الحال لا يذكر

ولداً ولا أهلا ولا جاهاً ولا خمولا ولا ولايةً ولا عزلةً ولا فقراً ولا غنًى ولا مصيبةوكفي بهذا واعظا لمن عقل

من عجيب تدبير الله عز وجل للعالم أن كل شيء اشتدت الحاجة اليه كان ذلك أهون له وتأمل ذلك في الماء فما فوقه. وكل شيء اشتد الغنى عنه كان ذلك أعزّ له وتأمل في الياقوت الاحمر فما دونه

الناس فيما يعانونه كالماشي في الفلاة كلما قطع أرضاً بدت له أرضون وكلما قضى المرء سبباً حدثت له أسباب

صدق من قال إن العاقل معذّب فى الدنيا وصدق من قال انه فيها مستريح . فأما تعذيبه فيما يرى من انتشار الباطل وغلبة دولته وبما يحال بينه وبينه من إظهار الحق. وأما راحته فمن كل ما يهتمّ به سائر الناس من فضول الدنيا

إياك وموافقة الجليس السيء ومساعدة أهل زمانك فيما يضرّك في أخراك أو فى دنياك وان قلّ فإنك لا تستفيد بذلك الا الندامة حيث لا ينفعك الندم ولن يحمدك من ساعدته بل يشمت بك وأقلّ ما فى ذلك وهو المضمون انه لا يبالي بسوء عاقبتك وفساد مغبتك . وإياك ومخالفة

الجليس ومعارضة أهل زمانك فيما لا يضرك في دنياك ولا في أخراك وان قلّ فإنك تستفيد بذلك الأذى والمنافرة والعداوة وربما أدّى ذلك الى المطالبة والضرر العظيم دون منفعة أصلا

إن لم يكن بُدٌّ من إغضاب الناس أو إغضاب الله عز وجل ولم يكن لك مندوحة عن منافرة الخلق أو منافرة الحق فأغضب الناس ونافرهم . ولا تغضب ربك ولا تنافر الحق

الإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل واجب فمن وعظ بالجفاء والاكفهرار فقد أخطأ وتعدّى طريقته صلى الله عليه وسلم وصار في أكثر الامر مغرياً للموعوظ بالتمادي على أمره لجاجاً وحرداً ومغايظة للواعظ الجافي فيكون في وعظه مسيئاً لا محسناً ومن وعظ بشر وتبسّم ولين وكأنه مشير برأي ومخبر عن غير الموعوظ بما يستفتح من الموعوظ فذلك أبلغ وأنجع في الموعظة . فان لم يتقبل فلينتقل الى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء فإن لم يقبل ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ فهذا أدب الله في أمره

بالقول واللين . وكان صلى الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة لكن كان يقول : مابالُ أقوام يفعلون كذا وقد أثنى عليه الصلاة والسلام على الرفق وأمر بالتيسير ونهى عن التنفير وكان يتخوّل بالموعظة خوف الملل وقال تعالى «ولو كنت فظاً غليظَ القلب لانفضُّوا من حولك»

وأما الغلظة والشدة فانما تجب في حدّ من حدود الله تعالى فلا لين في ذلك للقادر على اقامة الحدّ خاصة . ومما ينجع في الوعظ أيضا الثناء بحضرة المسيء على من فعل خلاف فعله فهذا داعية الى عمل الخير . وما أعلم لحبّ المدح فضلاً الا هذا وحده وهو أن يقتدي به من يسمع الثناء ولهذا يجبُ أن تؤرّخ الفضائل والرذائل لينفر سامعها عن القبيح المأثور عن غيره ويرغب في الحسن المنقول عمن تقدمه ويتعظ بما سلف

تأملت كل ما دون السماء وطالت فيه فكرتي فوجدت كل شيء فيه من حيّ وغير حي من طبعه إن قوي أن يخلع عن غيره من الانواع كيفياته ويلبسه صفاته فترى الفاضل يودُّ لو كان الناس فضلاء وترى الناقص يود لو كان الناس

نقصاء وترى كلّ من ذكر شيئاً يحض عليه يقول وأنا أفعل أمراً كذا وكل ذي مذهب يود لوكان الناس موافقين له وترى ذلك في العناصر اذا قوي بعضها على بعض أحاله الى نوعيته وترى ذلك في تركيب الشجر وفى تغذّي النبات والشجر بالماء ورطوبة الارض وإحالتهما ذلك الى نوعيتهما فسبحان مخترع ذلك ومدبره لاإله إلاهو

من عجيب قدرة الله تعالى كثرة الخلق ثم لاترى احداً يشبه آخر شبهاً لايكون بينهما فيه فرق. وقد سألت من طال عمره وبلغ الثمانين عاماً هل رأى الصور في ماخلا مشبهة لهذه شبهاً واحداً فقال لى لا بل لكل صورة فرقها وهكذا كل مافي العالم يعرف ذلك من تدبر الآلات وجميع الاجسام المركبات وطال تكرر بصره عليها فانه حينئذ يميز مابينها ويعرف بعضها من بعض بفروق فيها تعرفها النفس ولا تقدر أحد يعبرّ عنها بلسانه فسبحان العزيز الحكيم الذي لاتتناهى مقدوراته

من عجائب الدنيا قوم غلبت عليهم آمال فاسدة لا يحصلون منها إلا على إتعاب النفس عاجلا ثم الهمّ والاثم

آجلا كمن يتمنى غلاء الاقوات التي فى غلائها هلاك الناس وكمن يتمنّى بعض الامور التي فيها الضرر لغيره وان كانت له فيها منفعة فان تأميله ما يؤمل من ذلك لايعجل له ذلك قبل وقته ولا يأتيه من ذلك بما ليس فى علم الله تعالي تكوّنه فلو تمنى الخير والرخاء لتعجل الاجر والراحة والفضيلة ولم يتعب نفسه طرفة عين فما فوقها فاعجبوا لفساد هذه الاخلاق بلا منفعة

﴿ فصل فى مداوة أدواء الاخلاق الفاسدة ﴾

من امتحن بالعجب فليفكر فى عيوبه فان أعجب بفضائله فليفتش مافيه من الاخلاق الدنيئة فإن خفيت عليه عيوبه جملة حتى يظن أنه لاعيب فيه فليعلم أن مصيبته الى الأبد وأنه أتم الناس نقصاً وأعظمهم عيوبا وأضعفهم تمييزاً وأول ذلك انه ضعيف العقل جاهل ولاعيب أشد من هذين لان العاقل هو من ميّز عيوب نفسه فغالبها وسعى فى قمعها والاحمق هو الذي يجهل عيوب نفسه إما لقلة علمه وتميزه وضعف فكرته واما لانه يقدّر ان عيوبه خصال وهذا أشد عيب في الارض وفى الناس كثير يفخرون بالزنا واللياطة والسرقة والظلم